سلوك الحسيديين انفسهم ، فكان بعضهم يجري عاريا في الشوارع او يرقص بشكل خليع وماجن او يتبول امام الناس (٥٥) . ولم يقتصر اثر الحلولية الحسيدية على سلوكهم الدنيوي وانما انعكست ايضا على الصلوات الحسيدية ذاتهـــا فهي تتسم بالحماس الجماهيري المجنون والتعبير عن النشوة-العارمة ، بل ان الصلوات تشبه من بعض النواحي حركات الزار ويتخللها حركات جنسية واضحة وفاضحة . وقد اتبع الحسيدية كثير من النسوة وكان بعل شيم طوف يصاحب عددا لا بأس به من النساء ، ولهـذا السبب اتهمه اعداؤه بالفساد الخلقي (٥٦) ، ولكن حتى لو صدقت ادعاءات الاعـداء فالمريدون لا يمكنهم رؤيتها على هذا الشكل ، فالرجل المرفوع عنه الحجاب يتصرف مثل الاله ويتزوج ممن يشاء ويعاشر من يشاء ، وكلها افعال ربانية ، تماما مثلما يتزوج اغا خان من ريتاهيوارث ، فيدخل السعادة على قلوب المريدين . ومن المعروف ان احـدى سمات الماشيح انه شرير من الخارج خير من الداخل ، ولذلك حينما ارتد شبتاي تسفي عن اليهودية واعتنق الاسلام لم يلمه اصحابه فهذه هي احدى علامات الماشيحانية . والامر بالنسبة لبعل شيم طوف لا يختلف كثيرا في هذا الشأن .

٩ ــ تعبر الحلولية الحسيدية عن نفسها في شكلين هما في الواقع شيء واحـد : حب عارم لفلسطين او ارتس يسرائيل ولجماعة يسرائيل (٥٧) (توحيد وتمركز حول الذات) في مقابل كره عميق للاغيار (استقطاب متطرف) . وقد كان الكره العميق للاغيار يستند لوضع الحسيديين الطبقي المتدني ، وهو وضع كان غريبا وشاذا كما بينا ، فالاغيار كانوا هم الحكومة البولندية والنبلاء والكنيسة الذين يقومون باستغلال هذه الجماهير (مـن خلال سلطة القهال) ــ وقد ترجم هذا الوضع نفسه الى صور ومفاهيم مستقطبة ، فجماعة يسرائيل هي الحمل بين الذئاب ، ويدور الكون حول محوريـن متعارضين : اورشليم وصور (ويعقوب وعيسو ، وعبادة الله والوثنية ، والطهر والدناسة ، ومملكة الله اليهودية ومملكة الشيطان) ، ولم تبن صور الا حينما تحطمت اورشليم . يقابـل هذا الاستقطاب الحاد (وهو استقطاب يسم كل الديانات الحلولية القديمة والمذاهب الحلولية الحديثة) التمركز الحاد حول يسرائيل ففي الفكر الحسيدي نجد ان ثمة تعظيما وتقديسا لشعب يسرائيل المرتبط بارتس يسرائيل المقدسة (٥٩) . وقد كان حب يسرائيل حبا دينيا عاطفيا عاما ، ولكنه كان يترجم نفسه ايضا الى فعل يأخذ شكل هجرة (او صعود ــ عالياه)الى ارض الميعاد . وهذه الهجرة هي الترجمة الفعلية لفكرة الخلاص التدريجي واقتراب العصر الماشيحاني عن طريق افعال اليهود (وقد بدأ الحديث في الاوساط الحسيدية عن اقتراب العصر الماشيحاني باعتبار ان الهجرة الحسيدية هـي احدى علاماته) . ومما شجع هذا التيار ان الحسيدية كانت تؤمن ان حياة الحسيدي حياة مقدسة ، ولاستكمال هذه القداسة كان لا بد للحسيدي ان « يخرج »من بين الاغيار المدنسين وبلاد الاغيار المدنسة ليستقر في الارض المقدسة ، وغاية كل قداسة ومصدرها في الوقت ذاته . ولكن لا بد وان نضع هذا التشوق لصهيون في اطاره الطبقي الفعلي ، فالبورجوازية الصغيرة اليهودية الهزيلة لم تتمكن من ان تلعب دورا اقتصاديا مستقلا له اهميته ولكنها لم تعد قانعة بدور التاجر الطفيلي او البائع المتجول ، بل ان هذا الدور ذاته لم يعد مطلوبا في مجتمع كان يكتسب اشكالا اقتصادية جديدة ، من هنا كان « حب صهيون » والرغبة في العودة لها (٦٠) ؛ فصهيون هي المكـان الـذي ستستقل فيـه البورجوازية الصغيرة اليهودية باقتصادها حيث يمكنها ان تنتعش وتلعب دورا مستقلا في الشرق المتخلف . وقد هاجر بالفعل بعض مريدي البعل شيم طوف واقاربه وتلاميذه الى فلسطين واستوطنوا فيها (وان كان هو قد بدأ رحلته الى ارض الميعاد ثم قفل راجعا) (٦١) . كما كانت تتم احيانا هجرات جماعية لاسر كاملة ، وكان يصاحب هـذه الهجـرات مظاهرات حسيدية .

بعد هذا العرض لبعض جوانب الحلولية الحسيدية يطرح هذا السؤال نفسه : هـل